مركز الخليج للأبحاث
المعرفة للجميع

مختبر الحوار الخليجي
Gulf Dialogue Lab

أوراق ثقافية

المثاقفة وبناء الجسور بين المذاهب الإسلامية

د. زيد بن علي الفضيل

مدخل:

نظمت رابطة العالم الإسلامي تحت رعاية خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبد العزيز يحفظه الله مؤتمرا دوليا بعنوان: **"بناء الجسور بين المذاهب الإسلامية"**، وذلك في الفترة من 7 – 8 رمضان 1445هـ الموافق 17 – 18 مارس 2024م، بمشاركةٍ واسعةٍ من ممثلي المذاهب والطوائف الإسلامية في العالم الإسلامي.

وأعلن الأمين العام للرابطة الشيخ الدكتور محمد العيسى عن عزم المؤتمرين إطلاقَ **"وثيقة بناء الجسور بين المذاهب الإسلامية"**، التي ترسمُ معالمَ مضيئةً ودَلالاتٍ إرشاديةً مهمَّةً، وتَبني جُسورًا من الإخاءِ والتعاوُنِ بين المذاهب الإسلامية، لخير الأمة في مواجهة التحديات

واستفتَح الدكتور العيسى كلمته قائلًا: "نسعَدُ في رابطة العالَم الإسلامي بإطلاق المؤتمرِ التاريخيِّ الأوّل من نوعه، في الرحاب الطاهرة والشهر المبارك، وذلك في امتدادٍ لمضامينِ وثيقةِ مكةَ المكرمة"، لافتا إلى أنَّ المؤتمرَ بعلمائه من مُخْتَلَفِ المذاهب الإسلامية، قد جاء ليؤكِّد على خيرية الأمَّةَ الإسلامية، وأنَّ عُلماءَها الربانيين هم القُدْوَاتُ الحسنةُ والمَثَلُ الشرعي

وأوضح أنَّ التنوُّعَ المذهبيَّ يحتاج إلى استيعاب أمور كثيرة، تتمثّل في:

1. أنَّ الاختلاف والتنوُّع سُنَّةٌ مِنْ سُنَن الله تعالى، وأنَّ الحقَّ مطلبُ الجميع وعلى كُلِّ مسلمٍ البحث عنه ولُزوم جادَّته.

1. أنَّ المذاهب الإسلامية أحوج ما تكون إلى كلمةٍ سواءٍ بينها تجمعُها ولا تفرّقُها، وهو المشتركُ الإسلاميُّ الجامع، ولا مشتركَ أوضح وأبين كمشترك الشهادتين وبقية أركان الإسلام وثوابته.

1. أنَّ أهل الإسلام جميعًا تحت راية الإسلام ومظلتِهِ مهما اختلفت مذاهبهم.

1. أنَّه لا محلَّ لأيٍّ من الأسماء والأوصاف الدخيلة التي تُفَرِّقُ ولا تَجمَع؛ إلا ما كان منها مُوَضِّحًا للمنهج كاشِفًا لوصفه، على ألا يكونَ بديلًا ولا منافِسًا لاسم الإسلام الذي سمَّانا اللهُ به.

بهذه السمات والخصائص جاء تأكيد معالي أمين عام رابطة العالم الإسلامي الشيخ الدكتور محمد العيسى على أهمية التنوع المذهبي، ودوره في تنمية الحالة المعرفية وإحلال السلم المجتمعي، وهو تأكيد نابع من رؤية سعودية عريقة وضع قواعدها الملك عبد العزيز آل سعود يرحمه الله حال تأسيس الدولة الحديثة في الثلث الأول من القرن العشرين الميلادي، وأوضحَ جانبا من ملامحها سماحة المفتي العام للمملكة العربية السعودية الشيخ عبد العزيز آل الشيخ في كلمتِه بالمؤتمر حين أشار إلى أنَّ الدينَ الإسلاميَّ دينُ اجتماع، وهو دين ائتلاف ووَحدة الكلمة والصف، وحذَّر من الفرقة والاختلاف، مشيرًا إلى أنَّ السُّنَّةَ النبويةَ حافلةٌ بكلِّ ما مِنْ شأنه أن يوحِّد كلمةَ المسلمين، ويجمع فُرقتَهم، ويرفَع كلَّ سببٍ يُوقِعُ الشحناءَ والبغضاءَ بينهم

سمات الاعتدال السعودي:

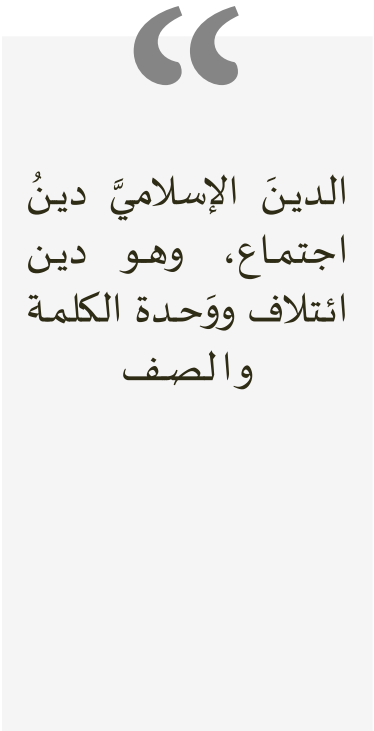

وواقع الحال فقد أخذت المملكة العربية السعودية مع تولي سمو ولي العهد رئيس مجلس الوزراء الأمير محمد بن سلمان دفة القيادة فيها، وبرعاية كريمة ومتابعة من خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبد العزيز يحفظه الله، في توضيح ملامح وسمات الاعتدال السعودي بشكل بارز، وتوجهت ولأول مرة إلى التحرر من سيطرة ما يعرف اصطلاحا بـ"الصحوة"، والذين حرص دعاتها على صبغ السعودية بصباغ لم تكن عليه قبل سيطرتهم على مفاصل الدولة في عهد مضى، وكان أن جاء الأمير القائد ليحرر المجتمع من قبضتهم، ويعمد إلى إعادة الحياة في أروقة المجتمع، والتأكيد على خاصية التنوع المذهبي، واعتماد منهجية صحيحة وصادقة في الأخذ بما شرعه الله ونهى عنه.

جاء ذلك واضحا في حوار سمو ولي العهد الأمير محمد بن سلمان مع مجلة "أتلانتيك"، حيث وفي محضر إجابته عن كيفية مواجهة مظاهر التطرف في الخطاب الديني، أشار إلى أهمية الوصول إلى الإسلام النقي الذي يرتكز في أحد جوانبه الرئيسة على غربلة الحديث النبوي الشريف، وتبيين الثابت المتواتر منها وغير المتواتر ممن يندرج ضمن خانة الخبر والأحاد، وهو للأسف ما استفاضت به مدونتنا الحديثية واستفاد منها المتطرفون لتبرير أفعالهم ونهجهم غير الصحيح، مبينا بحذق العارف أهمية التأكد من صحة الحديث المروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبخاصة الأحاد منه، الذي يحتاج إلى مزيد من التمحيص للتأكد من سلسلة إسناده ومطابقة متنه للمحكم من كتاب الله، وأن يكون غير معارض لما تواتر عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. وحتما فإن تحقق الشرطين سيجعله متماشيا مع مصلحة الناس، وهو الغاية من بناء التشريع الإلهي.

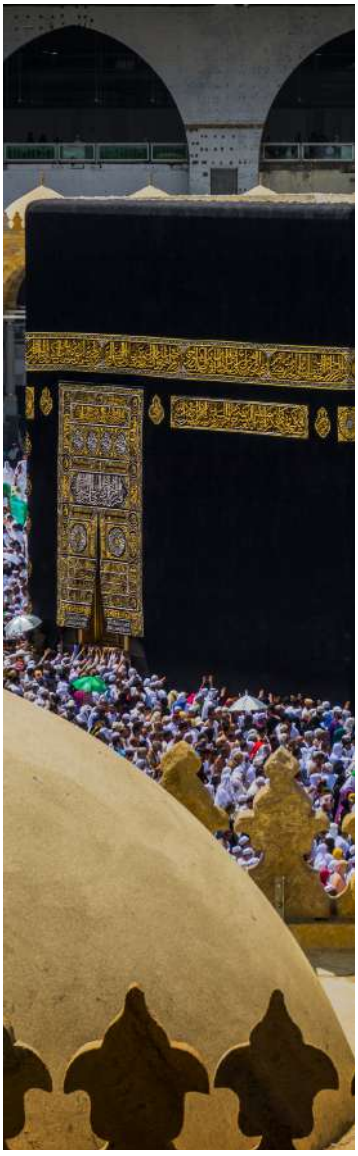

في جانب آخر فقد أبان الأمير محمد بوضوح عن هوية المملكة العربية السعودية الدينية، الجامعة بين حناياها مختلف المذاهب المعتبرة، ويأتي تصريحه الواضح متوافقا مع الرؤية التي قامت عليها المملكة في عهد جده الملك المؤسس عبد العزيز طيب الله ثراه، الذي حفظ للناس حرياتهم المذهبية والفكرية بشرط ألا يعارضوا حكما ثابتا في كتاب الله، ونصا متواترا عن نبيه صلى الله عليه وآله وسلم، حيث قال في أحد خطبه:

"لا يسأل أحد عن مذهبه أو عقيدته، ولكن لا يصح أن يتظاهر أحد بما يخالف إجماع المسلمين أو يثير الفتنة".

وهو ما جاءت "وثيقة مكة المكرمة" لتؤكده بعد ذلك، وهي الوثيقة التي اعتمدها أكثر من 1200 عالما مسلما من 139 دولة و27 مذهبا وطائفة دينية خلال مؤتمر رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة تحت عنوان

"قيم الوسطية والاعتدال في نصوص الكتاب والسنة"

المنعقد خلال الفترة من 27 إلى 29 مايو 2019م برعاية خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبد العزيز يحفظه الله.

حيث أكدت وثيقة مكة على أهمية مبادئ التسامح والتفاهم المتبادل بين الشعوب من مختلف الثقافات والأديان، ونصت على منظومة شاملة من الحقوق ومنها:

- حق المساواة ورفض العنصرية.
- الحق في الاختلاف العقدي والثقافي والفكري.
- الحق في التنوع الديني والثقافي في المجتمعات الإنسانية.
- حق الآخر في الوجود وفي الاعتراف به.
- الحق في العيش المشترك والاندماج الوطني الايجابي بين المكونات الدينية والعرقية والثقافية.
- حق دور العبادة في الحماية من الاعتداء والتدنيس.

وهكذا فقد جاء بيان سمو ولي العهد متسقا مع وثيقة مكة المكرمة التي اعتمدها خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان يحفظه الله، فكان نصه بالقول في الحوار المشار إليه بأن:

"السعودية لديها المذهب السنّي والشيعي، وفي المذهب السنّي توجد أربعة مذاهب، ولدى الشيعة مذاهب مختلفة كذلك، ويتم تمثيلها في عدد من الهيئات الشرعية، ولا يمكن لشخص الترويج لإحدى هذه المذاهب ليجعلها الطريقة الوحيدة لرؤية الدين في السعودية" وأضاف "ربما حدث ذلك أحيانًا سابقًا.. لكن اليوم نحن نضعها على المسار الصحيح"

"السعودية لديها المذهب السنّي والشيعي، وفي المذهب السنّي توجد أربعة مذاهب، ولدى الشيعة مذاهب مختلفة كذلك، ويتم تمثيلها في عدد من الهيئات الشرعية، ولا يمكن لشخص الترويج لإحدى هذه المذاهب ليجعلها الطريقة الوحيدة لرؤية الدين في السعودية" وأضاف "ربما حدث ذلك أحيانًا سابقًا.. لكن اليوم نحن نضعها على المسار الصحيح

التأسيس السعودي للاعتدال:

في هذا السياق فقد تميزت المملكة العربية السعودية بتنوعها المذهبي الذي كان له انعكاسه الإيجابي على الجانب المجتمعي، فالتنوع ثراء، وهو أساس لتأسيس حالة فريدة من المثاقفة التي تعني:

عملية التغيير والتطوير الثقافي الطارئ على مختلف الجماعات البشرية جراء حميمية التواصل والتفاعل بين بعضهم البعض، الأمر الذي تظهر ملامحه في مجمل الأنماط الثقافية الأصيلة السائدة في الجماعات كلها أو بعضها، باعتبار ما تحمله كل أمة من رغبة جامحة في معرفة الآخر، واستثمار ما لديه من قيم ومعطيات إنسانية وحضارية نبيلة.

بهذا التعريف تؤدي المثاقفة مجتمعيا إلى تنمية كيانها الثقافي بشكل خلاق وغير مضر بمقومات الهوية القومية وثوابتها، فضلا عما تعكسه من روح الثقة والتسامح بين الأفراد والجماعات، إذ تزيل كثيرا من الأوهام، وتساعد على تفعيل القواسم المشتركة بين مختلف الأطياف، الأمر الذي يخفف من حدة التوتر وسلبيات العداوة البينية، التي عادة ما يغذيها الجهل بالآخر، والإيمان بما تكون في الذهنية من أحكام سلبية مسبقة عنه.

وهو ما عاشته عديد من مناطق المملكة العلمية **كالأحساء شرقا، والمخلاف السليماني (جازان) جنوبا، والحجاز غربا**، وكان ولا يزال الحج بروحانيته وماديته أهم مؤثر يصبغ حياة سكان المملكة وبخاصة من هم على طريق الحج وصولا إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة بصبغة التعايش، ويعمل على توجيه ذواتهم توجيها مهنيا ومهاريا على الصعيد اللغوي والنفسي والاقتصادي، ويشكل شخصية أبناء المجتمع التي تتميز بالقبول على الآخر، والانفتاح عليه بدرجة عالية من التسامح، والإيمان بحتمية التنوع، ولاسيما في مدن الحجاز وبخاصة مكة المكرمة والمدينة المنورة، وذلك لتنوع أطياف ساكنيها، الذين أثَّر بعضهم على بعض، مشكلين نسيجا واحدا بخصائص

وسمات عالمية، ضمن بوتقة واحدة، وهوية واحدة، بلهجة مشتركة واحدة، وعادات وتقاليد واحدة، تشكلت ضمن أروقة وأزقة أحياء مدينتي مكة المكرمة والمدينة المنورة وضواحيهما من القرى المجاورة.

النموذج المكي للاعتدال:

والواقع فمن مكة المكرمة شع نور البشرية، وخرج من شعابها خير الإنسانية، الذي أخرج الناس من الظلمات إلى النور، فعم بنوره الأرجاء، وتحقق للبشرية بدعوته الصفاء والنماء، فكانت تلك الدعوة المحمدية، تاج الثمرات الثقافية، التي عكستها المدينة المقدسة للأمة جمعاء

لقد كانت مكة المكرمة ولا زالت المصدر والانعكاس لذلك الإشعاع الديني والوهج الثقافي في آن واحد، فمنها خرج العلم والعلماء، وإليها عاد العلم والعلماء، وعاش الناس جميعا في ثنايا أزقتها، وأروقة أحياءها، مختلف المحاور العلمية والروحانية، بصورة متجانسة، ونسق ثقافي فريد، حيث كانت ولا زالت مدينة خالدة جامعة لكل الأجناس والأعراق، الممتزجة في بوتقة ثقافية واحدة، وهو ما سمح بتبلور شخصية مكانية ذات صفات جامعة، لها سماتها الثقافية الخاصة، ويؤدي تطبيقها إلى تنمية وتفعيل القواسم المشتركة بين مختلف الأطياف

فكانت تلك الدعوة المحمدية، تاج الثمرات الثقافية، التي عكستها المدينة المقدسة للأمة جمعاء

فكان أن تنوع أطياف ساكنيها، فهم وعلاوة على الأصيلين من العرب من أهلها وساكنيها، يتكونون من: الجالية الشامية، والحضرمية، واليمنية، والمصرية، والمغربية، علاوة على الجالية التركستانية المعروفة محليا بالبخارية، والتركية، والشركسية، والهندية، والكثير من الجاليات الشرق أسيوية المعروفون محليا بالجاوة، وكذلك عديد من القبائل الأفريقية من مثل قبيلة الهوسا والفلاته والبرنو وغيرهم، الذين تأثَّر بعضهم ببعض، وشكلوا نسيجا واحدا بخصائص وسمات

عالمية ضمن أروقة وأزقة أحياء مدينة مكة المكرمة، والمدينة المنورة، عوضا مدينتي الطائف السور وجدة التاريخية، التي تندمج جميعها ضمن ملامح وخصائص الشخصية الحجازية كما هو متعارف عليه في الوقت الراهن.

تلك الشخصية التي تبلورت هويتها في وجدان المجتمع المكي حتى الربع الأخير من القرن العشرين، ووصفها الرحالة المصري محمد لبيب البتنوني 1910م في كتابه "الرحلة الحجازية" بقوله:

"خليط في خلقهم، فتراهم قد جمعوا إلى طبائعهم وداعة الأناضولي، وعظمة التركي، واستكانة الجاوي، وكبرياء الفارسي، ولين المصري، وصلابة الشركسي، وسكون الصيني، وحدة المغربي، وبساطة الهندي، ومكر اليمني، وحركة السوري، وكسل الزنجي، ولون الحبشي، بل تراهم جميعا بين رفعة الحضارة وقشف البداوة".

ولم يتوقف الأثر الإيجابي لحركة المثاقفة في مكة المشرفة على الجانب الاجتماعي وحسب، بل امتد بأثره الإيجابي على الجوانب العلمية أيضا، إذ يشير معالي الأستاذ الدكتور عبد الوهاب أبو سليمان عضو هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية في كتابه النفيس "الحرم الشريف: الجامع والجامعة"، إلى أن الوافدين كانوا محور النهضة العلمية ومصدر نشاطها

وهو ما أكده من قبل الأستاذ محمد عمر رفيع (1317-1398هـ/1900 – 1978م) في كتابه القيم "مكة في القرن الرابع عشر الهجري" الذي أوضح مشاركة العديد من الجاليات السالفة في نمو وتيرة الحركة العلمية عبر اهتمامها ببناء المدارس، وإقامة الحلقات العلمية في مختلف المعارف والفنون داخل أروقة وساحات الحرم الشريف، وعلى حصياتها الطاهرة، أو ضمن مدارس مبثوثة في أحياء وأزقة مكة عمرها الله، **كالمدرسة الصولتية** التي أسسها الشيخ رحمة الله

ونسبها إلى السيدة الهندية صولة النساء صاحبة الوقف، **والمدرسة الفخرية** العثمانية التي أسسها الشيخ عبد الحق ونسبها إلى أكبر داعم لها وهو نائب حيدر أباد في مجلس المبعوثان عثمان على خان، **ومدرسة باب الباسطية** التي أسسها الشيخ سعد الله الهندي، ومدرسة **دار العلوم** بمحلة الشامية ثم بشعب علي التي أسسها مشايخ الجاوة، إلى غير ذلك

واشتهرت مكة عبر تاريخها بالكثير من العلماء المجاورين لبيت الله الحرام، الذين كان لبعضهم حضه الوافر من التأليف والتدريس، وتعددت الأسر العلمية فيها من أمثال: **أسرة ابن فهد المكية القرشية، وأسرة ابن ظهيرة، وأسرة آل الطبري** التي برز منها الكثير من العلماء الرجال والنساء.

ومن الأسر العلمية في مكة المكرمة المستمرة حتى الوقت الراهن نسبا: **أسرة آل شطا، أسرة آل المالكي مذهبا الدباغ نسبا، وأسرة آل البار، وآل اليماني، وآل دحلان، والمشاط، والكتبي، والمرداد، والقاري، والزواوي، والفاداني، وعزوز**، وغيرهم.

وقد تعددت المذاهب في مكة المكرمة بتعدد السحن، وتشكلت الأفكار بين جنباتها بتنوع الأذهان وتباينها، ودون أن يعمل أحد على إقصاء الآخر أو نفيه، فكان أن وجدت المقامات المذهبية المتعددة، وتقاسمت أروقة الحرم وحصياته حلقات العلم على المذاهب الأربعة خلال القرن العشرين.

وقد تعددت المذاهب في مكة المكرمة بتعدد السحن، وتشكلت الأفكار بين جنباتها بتنوع الأذهان وتباينها

كما امتدت المثاقفة بتأثيرها الإيجابي على الجانب الإيماني والفكري، حيث حَضَت كل طائفة برجالها الذين يعملون على خدمتها وتسهيل حركتها خلال مواسم الحج والعمرة، كما تعددت المذاهب في مكة بتعدد السِّحَن، وتشكلت الأفكار بين جنباتها بتنوع الأذهان وتباينها، ودون أن يعمل أحد على إقصاء الآخر أو نفيه، فكان أن وجدت المقامات المذهبية المتعددة حتى أوائل القرن العشرين، وتقاسمت

أروقة الحرم وحصياته حلقات العلم على المذاهب الأربعة طوال القرن العشرين.

حيث تم على سبيل المثال دراسة **الفقه المالكي** في حصوة باب أجياد على يد الشيخ جمال مالكي، والشيخ علي حسين المالكي، والشيخ عابد المالكي، وفي رواق باب السلام على يد السيد عباس بن عبد العزيز الدباغ نسبا، المالكي مذهبا، والسيد علوي بن عباس الدباغ المالكي، ومن بعدهم السيد محمد علوي، وفي حصوة باب العمرة على يد الشيخ محمد نور سيف، وغيرهم.

وتم دراسة **الفقه الحنفي** في حصوة باب إبراهيم على يد الشيخ أحمد بن عبد الله القاري، والشيخ أحمد الهرساني، وفي حصوة باب العمرة على يد الشيخ سليمان مرداد، والسيد علي بن عيدروس البار، وفي حصوة باب السلام على يد الشيخ أمين مرداد، وفي الرواق الشيخ أحمد ناضرين، وغيرهم.

وتم دراسة **الفقه الشافعي** في حصوة باب علي على يد الشيخ إبراهيم فطاني، وفي رواق باب السليمانية على يد الشيخ أسعد الدهان، وفي رواق باب العمرة على يد الشيخ عبد الله اللحجي، وأمام باب أجياد على يد الشيخ ياسين الفاداني، وغيرهم.

وتم دراسة **الفقه الحنبلي** في حصوة باب العمرة على يد الشيخ عمر حمدان المحروسي، وفي حصوة باب علي على يد الشيخ محمد بن مانع، وفي رواق باب الملك سعود على يد معالي الشيخ صالح بن حميد، والشيخ محمد السبيل، ومقابل باب النبي على يد الشيخ طه البركاتي، وغيرهم.

كما شملت الدراسة عددا من جوانب المعرفة العلمية كالفلك والرياضيات واللغة وعلومها والتاريخ وفنونه، ومن ذلك ما تم دراسته في علم الفلك والمواقيت على يد الشيخ خليفة النبهاني في

حصوة باب الداوودية، وما تم قراءته في الرياضيات على يد الشيخ زيني كتبي في رواق باب زيادة، وما تم دراسته في التاريخ على يد الشيخ محمد العربي التباني بين باب الباسطية وباب الزيادة، وما تم دراسته في الأدب والإنشاء على يد السيد إبراهيم نوري في رواق باب الوداع

الخلاصة:

بهذا قامت المملكة العربية السعودية ونشأت، واليوم تسعى رابطة العالم الإسلامي بقيادة أمينها العام الشيخ الدكتور محمد العيسى إلى تعزيز هذا السلوك المعرفي بين الشعوب الإسلامية، ليكون منهجا تجتمع عليه الأمة الإسلامية، وتعيش بسببه سلمها المجتمعي، وإثراءها المعرفي، بما يحقق النماء والتقدم، فالتنوع ميزة تتمتع بها الأمم الناضجة، والقبول بالآخر قيمة أخلاقية تمارسها الشعوب الواعية، والإسلام دينا ومنهجا ورسالة جاء ليعزز ذلك ويؤكده بشكل حثيث، انطلاقا من تلك المقولة الخالدة بأن: رأيي صواب يحتمل الخطأ، ورأي غيري خطأ يحتمل الصواب.

مركز الخليج للأبحاث
المعرفة للجميع

www.ar.grc.net

الرياض

مكتب FN11A، البرج الشمالي
مؤسسة الملك فهد الفرعي، العليا
هاتف: 2112567 ، 966-11-2031188+
البريد الإلكتروني: info@grc.net

جدة

30 شارع راية الإتحاد (19)
ص.ب 2134 جدة 21451
المملكة العربية السعودية
هاتف: 966-126511999+
فاكس: 966-126531375+
البريد الإلكتروني: info@grc.net

جنيف - سويسرا / كامبريدج - بريطانيا / بروكسل - بلجيكا

Geneva - Switzerland
Gulf Research Center
Foundation
Avenue, de France 23
1202 Geneva switzerland
Fax: +41227162730
Email: info@grc.net

Cambridge - England
Gulf Research Center
Cambridge University of
Cambridge, Sidgwick
Avenue,Cambridge
CB3 9DA, UK
Tel: +760758-1223-44
Fax: +335110-1223-44

Brussels - Belgium
Coming Soon